(٤٠)

«قل لمن فى أيديكم من الأسرى»

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ [سورة الأنفال الآيتان ٧٠، ٧١].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ [سورة الأنفال الآيتان ٧٤، ٧٥].

* * *

obeikandl.com

«على مشارف المدينة.. القافلة النبوية تقترب مـن دار الهجرة والقلوب والأفئدة معلقة بربوعها وأحيائها وآطامها.. بمسـاجدها العامرة بالإيمان والمؤمنـين.. قلب النبى – ﷺ – مشـغول بفلذة كبده وبنيته رقية التـى تركها عليلة مريضة فى رعاية زوجها عثمان بن عفان.. ما باله – ﷺ – مقبوض الخاطر.. ترى أألم بها مكروه؟!!.. إنه ليعلم أنها ضعيفة البنية، وأن العلة كانت بها قد اشتدت.. أتراها تجاوزتها أم غلبها المرض؟! كم كانت رقية قليلة الحظ.. تركت ملاعب الطفولة صغـيرة لتبنى وأختهـا أم كلثـوم بعتبة وعتيبة ولـدى عبد العـزى (أبى لهب) عـم أبيهما.. مـا كان معلومًا حين قبلت هـذه المصاهرة كيف ستجرى الأقدار، ومـاذا سـوف يفعل عبد العزى (أبو لهب) حين ينهض محمد بالرسالة التى بعثه بها ربه.. لم يطل عرس البنية لا هى ولا شقيقتها أم كلثوم.. ما يكاد رسول الله يجهر بدعوته حتى يجن جنون أبى لهب وزوجه أم جميل، ويذهب أبو لهب إلى ولديه مغاضبًا يأمرهما بتطليق بنتى الرسول يقول لهما: «رأسى من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد..».. عوضها الله بعثمان بن عفـان زوجًا حانيًا رءومًـا.. لا تكاد تبنى به إلا وتلاحقهما مكايدات وأذى قريش، فتهاجر معه رقية الهجرة الأولى إلى الحبشة.. كانا معًا – رقية

وعثمان – طليعة المهاجرين إلى النجاشى، يقول لهما النبى عليه السلام: «إن عثمان أول من هاجر إلى الله بعد لوط عليه السلام».. احتملت رقية على ضعف بنيتها ومرضها السقيم ألم فراق الوطن والأب الحنون، ووعثاء ومشاق السفر ثم شظف العيش هناك.. ما كادت لهف قلبه عليها تؤوب إلى مكة فرحة بالإياب إلى الأحباب حتى استقبلها رحيل أمها خديجة.. تتابعت عليها الأحزان.. ها هى قد فقدت أمها بعد أن فقدت فى الهجرة حملها.. لم تمهلها نوائب الأيام.. لم يطب لها المقام بمكة أيامًا حتى تهاجر مع عثمان هجرتهما الثانية إلى يثرب.. تلاحقها الخطوب والأحزان.. هل هو قدر على ذريته – ﷺ؟!! ها هى تفقد ولدها الوحيد عبد الله.. ويا لتصاريف القدر.. يفقأ عينه ديك! فتتورم ويتورم وجهه ويقضى نحبه فى أيام فتلاحقها الأمراض والأسقام حتى تلزمها الفراش!!.. ما باله – ﷺ – موزع الخاطر مشغول البال بأمر يحدثه قلبه بحديث ينحيه.. لا يريد أن يصدقه.. يتحرج المستقبلون له ويترددون فى إنهاء النبأ الحزين إليه.. لقد هاجرت صاحبة الهجرتين إلى الله، وهو عليه السلام لا بد عارف حين يصل إلى داره بفراق ودفن الحبيبة.. يطول بالناس التردد، ولا يحزم أحدهم أمره.. حتى يبلغ الركب دار ومسجد النبوة..».

«النبـى ﷺ يدخل إلى داره، فيلمح فى مآقى العيـون ما حاول أن يكذب فيـه قلبه الذى حدثه فأطال الحديث.. يحس ممن حوله ودون أن يفصح أحد بـأن البنية الحبيبة قـد قضت نحبهـا ولاقت ربهـا.. لا يكاد ﷺ يطل علـى أهل الدار حتى يغلبهن النشـيج ويجهشـن ببكاء حـار، ونحيب مسـموع يغضب له عمـر بن الخطـاب فيزجرهن فى عنـف مدفوع بحرصـه على السـكينة والوقار فـى محضر النبـوة.. وحزن النبـى البالغ الصابر الرفيع..».

«النبى – ﷺ – يمسـح دمـوع فاطمة بطرف ثوبـه، ويلتفـت إلى عمر ليكفه عنهـم.. يغالب ﷺ أحزانـه فلا ينسـى عبء النبـوة.. يقول للجميع حانيًا رفيقًا..».

النبى : مهما يكن من العين ومن القلب فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان!..

«يغالب الجميع نحيبهم، ويكتمون نشيجهم.. تنثـال العبرات علـى الراحلة العزيـزة صاحبة الهجرتين، فى صمت وسكينة ووقار..».

* * *

«المسلمون يستعرضون ما معهم من أسرى قريش بعـد أن أنفذوا حكم الله فـى النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيـط.. ما كان لأحدهما أن ينال نعمة الأسـر.. فقد آذيا الإسلام والمسلمين فأمعنا

فى الإيذاء، وكادا للرسول ﷺ فأمعنا فى الكيد والنكاية.. كانا مع أبى جهل المحرضين لقريش على الخروج لقتال المسلمين.. إنهم شياطين قريش، وأبالسة الشر.. حقيق بهما أن يلحقا برفيقهما شر الأبالسة أبى جهل.. كما لاقى الرسول ﷺ من كيدهما وشرهما وإيذائهما.. يتهجم عليه النضر وهو ساجد فى الكعبة خلف المقام فيطأه بأقدامه ويضع رجله على عنق النبى ويظل يغمزها ويضغط بها لا يرفعها حتى ظن الرسول أن عينيه ﷺ تسقطان من محجريهما!!.. لا يكف هذا الشيطان ولا يشبع من الشر والإيذاء.. يحمل سَلاَ شاة (الأمعاء الملوثة بالدماء) ويلقيه على رأس النبى وهو ساجد خلف المقام فى البيت الحرام.. كم تسببا وقرينهما أبو جهل فى إراقة الدماء بدفع قريش إلى هذا القتال الأحمق!!».

* * *

«النبى - ﷺ - يتأمل فيما كان يفعله هؤلاء الطغاة، الذين تقولوا على كتاب الله وقالوا فيه منكر القول والافتراء.. يوافيه جبريل ﷺ فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ٣١].

(يرتفع الوحى)

«بين الأسرى إخوان وأعمام وأخوال وأصهار.. لا يخلو واحد من الأسرى من صلة قرابة حميمة أو مصاهرة بواحد أو أكثر من المسلمين.. بين الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام، وبينهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وابن أخت خديجة الراحلة الغالية.. فى الأسرى عقيل بن أبى طالب ابن عم النبى وشقيق الأثير الحبيب النصير علىّ.. فيهم عديدون من بنى هاشم وبنى عبد المطلب.. ومن بنى عبد شمس، ومن بنى مخزوم، ومن بنى سهم.. ما من بطن من هذه البطون إلا ومنهم مسلمون وجدوا أقرباءهم أسرى.. ماذا هم فاعلون بهم.. لقد آذوهم وأخرجوهم، ثم جاءوا فقاتلوهم، ولو استطاع أحدهم أن يقتل أخاه لقتله.. ألم يسع والد أبى عبيدة بن الجراح لقتل ولده وظل يطارده ليقتله وأبو عبيدة يتجنبه..».

«النبى - ﷺ - يجلس إلى صحابته من المهاجرين والأنصار يستشيرهم ويشاورهم..».

النبى : (لأصحابه) ما ترون فى هؤلاء الأسرى؟.. (بعد لحظة) إن الله أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس!

أبو بكر : يا رسول الله أهلك وقومك، وقد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم.. هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان استبقهم واستأن بهم لعل الله عز وجل أن يتوب عليهم.. وإنى أرى أن تأخذ الفداء منهم، فيكون ما أخذناه قوة على الكفار.. وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لك عضدًا..

«النبـــى – ﷺ – يخفـــى ارتياحه لكلام أبى بكر ولا يعلق.. يتجه إلى عمر بن الخطاب..».

النبى : (لعمر) فما تقول يا ابن الخطاب؟

عمر : (متحمسًـــا) يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك.. (بعد لحـظـــة) ما أرى رأى أبى بكر.. أرى أن تمضى فيهم حكم الله ليعلم ســبحانه وتعالى أنه ليســت فى قلوبنا مودة للمشــركين.. هؤلاء صناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهــم.. ما أرى أن يكون لك أســرى، فإنما نحن راعون مؤلفون!

عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر واديًا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارًا..

«يسمعه العباس بن عبد المطلب وسط الأسرى فيناديه..»

العباس : (مناديًا على ابن رواحة) قطعتك رحمك!

«النبـــى عليه السلام ينهـــض فيدخل بيته.. يشـــتد الحوار بين الصحابة والمسلمين.. بعضهم يرى رأى أبى بكر، وآخرون يرون رأى عمر، وأناس يأخذون بقول عبد الله بن رواحة.. وإنهم لفى جدالهم يخرج إليهم النبى – ﷺ – بعد ساعة فيبادرهم..».

النبى : إن الله تعالى ليليّنُ قلوب أقـوام فيه حتى تكون ألين من اللبن أو الزبد، وإن الله تعالى ليشـــد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشـــد من الحجارة.. (يتجـــه إلى أبى بكر) مثلك يـــا أبـــا بكر فى الملائكة مثـــل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك فى الأنبياء مثل إبـراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة إبراهيم الآية ٣٦]..

ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة المائدة الآية ١١٨].. (يتجه إلى عمر) ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى، ومثلك فى الأنبياء مثل نوح إذ قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة نوح الآية ٢٦].. ومثلك فى الأنبياء مثل موسى، إذ قال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة يونس الآية ٨٨].. (يتمهل عليه السلام قليلا) لو اتفقتما ما خالفتكما.. إن بكم عَيْلة (فقرًا).. فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق..

عبد الله بن مسعود : يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء، فإنى سمعته يذكر الإسلام..

«النبى - ﷺ - ساكت مطرق.. لا يعلق.. يشتد سكوت النبى على عبد الله بن مسعود.. يظن أنه أغضب النبى عليه السلام حتى ليخاف أن تسقط عليه حجارة من السماء..».

النبى : (يردد راضيًا) إلا سهيل بن بيضاء!!

«عبد الله بن مسعود يتنفس الصعداء..»

* * *

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتعبد ويتحنث.. يناجى ربه ويحمده على ما مَنّ به عليه وعلى المسلمين.. يتنزل عليه جبريل عليه السلام».

جبريل : (يوحى لمحمد) ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيات من ٦٧ – ٦٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى – ﷺ – ومعه أبو بكر الصديق، باديا الحزن والأسى، تطفر الدموع من عيونهما.. يلحق بهما عمر بن الخطاب فيلفاهما على هذه الحال.. ينتابه جزع شديد.. ينظر إليهما مليًّا ولا يستطيع أن يصبر على ما يرى..».

عمر بن الخطاب : (بقلب واجف) يا رسول الله – أتبكيان؟!.. بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما يبكيكما؟! «لا يردان..».
(مستأنفًا) إن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما!

النبى : عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة.. لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ.. كان يرى أن الإثخان مع المشركين (الغلظة والصلابة) أحب من استبقاء الرجال!

عمر : (واجفًا) خيرًا يا رسول الله..

النبى : تنزل علىّ جبريل عليه السلام فأوحى إلى من قول ربى..
(يتلو) ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى

ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيات من ٦٧ – ٦٨].

صحابى : (لآخر) ماذا كان من سعد بن معاذ؟

صحابى ثان : رآه الرسول – ﷺ – أثناء المعركة وفى عينيه كراهية لما يصنع الناس حين وضعوا أيديهم يأسرون.. سأله عليه السلام: «لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس؟!».. أجابه سعد: «أجل والله يا رسول الله، هذه أول واقعة أوقعها الله بالمشركين، فكان الإثخان فى القتل أعجب (أحب) إلىّ من استبقاء الرجال»؟.

صحابى ثالث : ما كان قد نزل فى ذلك أمر من السماء!.. خُيرنا فاخترنا..

صحابى ثان : وذلك قوله سبحانه: «لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ»..

* * *

«العباس بن عبد المطلب بين الأسرى بين يدى النبى عليه السلام..».

النبى : يا عباس إنك ذو مال.. افد نفسك وابن أخيك عقيل ابن أبى طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عقبة بن عمرو ابن جحدم..

العباس : يا رسول الله، إنى كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهونى!

«يومئ البعض مؤيدين، ولكن النبى يتجاهلهم..»

النبى : الله أعلم بإسلامك، إن يك ما تذكر حقًا يجزيك الله به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا.. فافد نفسك!

العباس : يا رسول الله، ليس لى مال أفدى نفسى وهؤلاء به..

بعض الأنصار : ائذن لنا يا رسول الله فلنترك لابن أختنا عباس فداءه..

النبى : لا والله.. لا تذرون منه درهمًا.

العباس : يا رسول الله.. قد جعلت فدائى ضعفين ونصف باقى قريش، وجعلت فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب ضعفى فداء باقى الأسرى.. فاجعل لى من فدائى العشرين أوقية التى خرجت بها وكانت معى حين قاتلت وأسرت..

النبى : هذا شىء خرجت تستعير به علينا!

العباس : يا رسول الله، لقد تركتنى أسأل قريشًا بكفى والناس ما بقيت!

النبى : فأين المال الذى وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث تقول لها: لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا، فهذا لك وللفضل وذاك لعبد الله وهذا لعبيد الله وذاك لقثم!!

العباس : (مذهولاً) من أخبرك بهذا؟! ما علم هذا أحد غيرى وغيرها!! فوالله ما اطلع عليه أحد من الناس غيرى وغيرها!!

النبى : الله أعلمنى بذلك.

العباس : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقًا، وإنك لصادق.

* * *

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتعبد ويتهجد، يتنزل عليه الروح الأمين».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ

خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيتان ٧٠، ٧١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى - ﷺ - يمر بالأسارى من قريش يناديه أبوعزة عمرو بن عبد الله الجُمَحىّ.. رجل فقير محتاج ذو عيال..».

أبو عزة : (مستعطفًا) يا رسول الله، لقد عرفت ما لى من مال، وإنى لذو حاجة وذو عيال، فامنن علىّ..

«لم تكن قد نزلت بعد آية: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ [سورة محمد الآية ٤].. بيد أن الرسول عليه السلام غلبته رحمته.. نادى فى المسلمين أن يمنُّوا عليه ويطلقوه.. أخذ عليه عهدًا ألاّ يظاهر عليه أحدًا.. انطلق الرجل إلى سبيله منشدًا..».

أبو عزة: مَنْ مبلغٌ عنى الرسولَ محمدًا أنك حق والمليك حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيدُ

* * *

«بين الأسارى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.. علم أن النبى عليه السلام ألزم العباس بفدائه.. يأمل لقرابته أن يسقط عنه الرسول فداءه..».

نوفل بن الحارث : يا رسول الله ليس عندى ما أفتدى به!

النبى : (فى سماحة) افد نفسك برماحك التى بجدة!

نوفل : (مخاطبًا نفسه) والله ما علم أحدٌ أن لى بجدة رماحًا بعد الله غيرى!! (يستأنف) أشهد أنك رسول الله.. قد قبلت أن أفتدى نفسى بالرماح..

* * *

«النبى - ﷺ - بين صحابته بالمسجد.. يتشاور معهم فى أمر الأسرى.. فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس خَتن رسول الله وزوج ابنته زينب، وابن خالتها هالة بنت خويلد أخت الراحلة الغالية خديجة.. كانت تعده بمنزلة ولدها وسألت النبى قبل البعث أن يزوج زينب له فقبل.. مضت الأيام وتنزل الوحى بالرسالة على الرسول فآمنت به خديجة وبناته.. صدقنه وشهدن أن ما جاء به هو الحق، ودنّ بدينه.. إلا أزواج البنات.. ثبت أبو العاص على شركه، بيد أنه رفض ما طلبه إليه أبو لهب أن يطلقها كما رضخ وفعل ولداه عتبة وعتيبة.. يومها مضى أبو لهب بعداوته إلى قريش يقول لهم: «إنكم قد فرّغتم محمدًا من همه، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن».. أخذ معه رؤوس قريش وذهبوا إلى أبى العاص يحرضونه على

أن يحـذو حذو عتبة وعتيبة ابنى أبـى لهب، يقولون لـه: «فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شـئت».. إن النبى عليه السلام ليذكر له أنـه عصاهم وأبى عليهم وقال لهم: لا هـا الله إذًا، لا أفارق صاحبتى، وما أحب أن لـى بامرأتى امرأة من قريش».. قد فرق الإسلام بـين زينب وبينه حين أسـلمت، ولكن ما كان للتفريـق آنذاك سـبيل.. بقيت على إسـلامها وبقى أبو العاص على شركه.. حال بينها وبين أن تلحـق بأبيها إلى دار الهجرة، فلما خرجت قريـش لقتال النبى ﷺ خـرج معها.. ها هو ضمن الأسارى.. أسره خَراش بن الصمّة.. يدرك بعـض المهاجرين مـا فى الأمر مـن تضاعيف ومشاعر متشابكة.. يشيرون على النبى أن يطلقه رعايةً لابنته زينب، فلا يجيبهم بشىء..».

«فى اجتماعهم بالمسجد النبوى: يأتى مبعوثون من قريش فى فداء بعض الأسرى.. يحمل أحدهم رسـالة وقلادة من زينب إلى أبيها تطلب إليه أن يفادى زوجها وأن يقبل القلادة فى فدائه..».

«ينظـر الرسـول ﷺ إلى القلادة فتتغشـاه الذكريات.. هذه قلادة خديجة الحبيبة الغالية.. زينت بها ابنتها زينب يوم زفتها إلى زوجها أبى العاص.. ما إن رآها الرسول ﷺ حتى رق لها رقة شديدة..».

النبى : (لأصحابــه – مترددًا فى حيــاء) إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا!

الصحابة : نعم يا رسول الله.. نطلقه ونرد عليها الذى لها..

«النبى عليه السلام يتغشاه الرضا والارتياح.. ينادى أبــا العــاص ويناجيه.. لا يعرف المســلمون أنه أخــذ عليه عهدًا أن يخلى إذا وصل مكة ســبيل زينــب ويردها إليه، فقد فرق الإســلام بينهما.. ولا يظهران ما اتفقا عليه حتى لا تشــنف قريش وتحول بينها وبين الخروج إلى دار الهجرة..».

* * *

«النبــى عليه السلام وصحابتــه بين الأســارى من قريش بالمدينة.. فيهم سُــهَيل بــن عمرو الذى أطلق لســانه كثيرًا فى الرســول عليه السلام.. أســره مالــك بن الدُّخْشُــم أخو بنى ســالم بن عوف.. تجتاح عمر بن الخطاب جائشات النفس، يذكر للرجل إساءاته البالغة للإسلام ورسوله.. تغلــبه مشاعره..».

عمر بن الخطاب : يا رســول الله، دعنى أنزِعْ ثَنِيّتَىْ سهيل بن عمرو يَدلَعْ (يخرج) لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا فى موطن أبدًا..

النبى : (فــى سماحة) لا يا عمر.. لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنــت نبيًّا.. (بعد لحظة) عســى يا عمــر أن يقوم مقامًا لا تذمه!

* * *

«النبى ﷺ فى صحابته بالمسجد بالمدينة.. يقدم مِكْرز بن حفص بن الأخيف مبعوثًا فى فداء سهيل بن عمرو.. ليس مع مِكرز ما اتفق على أن يفاديه به».

مكرز : أما وقد رضيتم، فاجعلوا رجلى مكان رجله حتى يأتيكم الفداء وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه..

«المسلمون يوافقون..»

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى – ﷺ – فى صحابته.. يأتيه من ينقل إليه أن بعضًا من أسرى قريش لا يجدون فداءً يفتدون أنفسهم به من الأسر..».

«النبى ﷺ يطرق مفكرًا.. إن فى غلمان المدينة من لا يعرفون القراءة والكتابة.. بينما فى الأسرى من قريش من يلمون بالقراءة والكتابة..».

النبى : (لأصحابه) من لم يكن له فداء، فادفعوا إليه عشرة من غلمان المدينة، يعلمهم القراءة والكتابة فإذا حذقوا فهم فداؤه.

* * *

«بيت النبى – ﷺ – وقد مضت فترة لم توقد فى البيت نار لخبز أو طعام.. الرسول ﷺ يغالب الجوع بالربط على بطنه.. تنظر إليه عائشة مشفقة..».

عائشة : نفسى لك الفداء يا رسول الله! لو أخذت من الطعام ما يقويك على الصيام؟!

النبى : يا عائشة، ما لى وللدنيا، لقد سبقنى أولو العزم من الرسل، وصبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم، وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم، وأحسن ثوابهم!.. وإنى أخاف إن ترفهت فى معيشتى أن يُقصَّر بى غدا عنهم، وليس أحب إلىّ من أن ألحق بإخوانى وأخلائى.

* * *

«مكة.. منتدى قريش بظاهر الكعبة.. أبو سفيان فى رهط من رؤوس قريش يتحدث فى أمر ابنه عمرو بن أبى سفيان الأسير فى المدينة.. جدّه لأمه رأس الشر عقبة بن أبى معيط الذى لاقى جزاء ربه.. يحادث القرشيون أبا سفيان فى فداء ولده..».

القرشيون : افد عمرًا ابنك يا أبا سفيان!

أبو سفيان : (معترضًا) أيجمع علىّ دمى ومالى؟!.. قتلوا حنظلة ولدى وأفدى عمرًا؟!.. (يغالب شجنه) دعوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم!!

«يهمهم القرشيون لا يقرون عناده!!»

* * *

«بمكة.. سعد بن النعمان بن أكّال أخو بنى عمرو بن عوف.. شيخ مسلم من أهل المدينة جاء ومعه مُريّة له (تصغير امرأة) يعتمر فى الأشهر

الحـــرم.. لا يظن أن أحـدًا مـن قريش يعرض لـه بســوء فى شــهر حرام.. كان عهد قريش الذائع بـين العرب أنهم لا يعرضون لأحد جاء حاجًا أو معتمرًا إلا بخير..».

«أبو سفيان فى غِلّه وغيظه، ما إن يعلم باعتمار ســعد، حتى يهجم ورجـاله عليه فيحتبســونه بابنــه عمرو بن أبى سفيان..».

* * *

«المدينة، وقــد تناهى النبأ إلى بنى عوف قوم ســعد بن النعمان.. يقصــدون النبى - ﷺ - أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ليفكوا به صاحبهم.. النبى عليه السلام يجيبهم إلى ما طلبوه فى سماحة..».

* * *

«النبى - ﷺ - قريــر العين بأصحابه الذين آخــى بينهــم فتآخوا فــى الله، وتلاقت قلوبهم فــى الله، وتحابــوا فى الله، وجاهدوا بأرواحهم وأموالهــم فى الله.. يناجــى عليه السلام ربه ويحمده ويتحنث إليه.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يوحى لمحمــد) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ

﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[سورة الأنفال الآيات من ٧٢ – ٧٥].

(يرتفع الوحى)

* * *